

رالف ميرسر | *Ralph Mercer

هابيتوس المستقبل: التأثير المهيكِل لعلاقتنا بالتكنولوجيا

Habitus of the Future: The Structuring Effect of our Relationship with Technology

الرقم التعريفي DOI

<https://doi.org/10.31430/FXHW3216>



* Ralph Mercer, "Habitus of the Future: The Structuring Effect of our Relationship with Technology," *Human Futures Magazine* (March 2022), pp. 23-25.

أنني قد تنازلت عن حرية اتخاذ القرار، وأنني أقبل على نحوٍ سلبي المعايير السلوكية المصممة في أدواتنا التكنولوجية، من عدد الخطوات التي أقوم بها يوميًا، إلى الرموز التعبيرية (Emojis) التي أختارها لتقدير كمي ليومي.

فهل ستحدّ "الحاضرة" (Presentism) التي تشجعها حدود التكنولوجيا الخاصة بي من تصوري للمستقبل؟ ربما الجواب بالنفي، ولكن إذا وسّعنا تأثير التكنولوجيات ليشمل كل التأثيرات المحيطة بحياتنا اليومية وليشمل المقدار الهائل من التكنولوجيا التي نتفاعل معها لا شعوريًا مع شأننا اليومي، والسرديات المهنية المهيمنة حول التكنولوجيا، فقد يكون الجواب بالإيجاب.

أصبحت التكنولوجيا شاهدًا على العديد من جوانب حياتنا اليومية، موفرةً النجاعة بديلاً من شريك فعال يثري تجاربنا الشخصية. تذكرت أن ريبيل ميلر⁽¹⁾ قد علق على شبكة "لينكين" (LinkedIn) بأنه قد صُدم بالتأطير القوي لمستقبلاتنا الممكنة من خلال خيارات بشرية واضحة، وموجهة نحو الهدف، وتنتج "نفايات ملموسة وإشعاعية ثابتة للغاية"⁽²⁾. ما يقلقني هو أن علاقتنا الحالية بالتكنولوجيا أصبحت عاملاً مهماً في خلق مجاز النفايات الخرسانية والإشعاعية في حياتنا.

وهناك صورة تقنية - اجتماعية أكبر؛ إذ تعمل الشبكات الخلوية، ونظام تحديد المواقع العالمي

تركز اهتماماتي على علاقتنا بالتكنولوجيا بوصفها قوةً تؤثر في الأفراد لقبول سلوكيات وأفعال ومعتقدات معينة واستنساخها وتبنيها. وبصفتي خبيرًا في ثقافة التكنولوجيا، أفكر في أهمية التكنولوجيا في تحديد سلوكنا الفردي والاجتماعي في الحاضر، والأهم من ذلك، في تصورنا للمستقبل. وأقترح في هذا المقال أن علاقتنا بالتكنولوجيا قد تُفهم على نحوٍ أفضل على أنها "هابيتوس المستقبل" (Habitus of the Future) الذي يخلق أنماطًا من السلوكيات التي تقاوم لا شعوريًا الأفكار الجديدة والفرص للتعامل مع الدراسات المستقبلية.

بدأت فكرة المقالة في موقفٍ للسيارات؛ حيث فكّرت في تطبيق محمول لتسوّق البقالة، كان قد أرشدني للتوّ إلى محيط المتجر، وذكّرني بما ينبغي شراؤه. لم يكن أيّ تدخلٍ من جهتي مطلوبًا؛ فقد كان التطبيق يعرف متجر البقالة حيث كنت أعيش بناءً على بيانات موقعي والعناصر التي أحتاجها من عادات الشراء السابقة في هذا الموقع. ولم أشكك في الأمر، بل تسلّلت عبر أجنحة المتجر، متجاهلاً الأجنحة التي لا تحتوي على الأشياء التي أحتاجها، مراعيًا فقط السرعة في الدخول والخروج. وقد حافظ التطبيق على تركيزي الشديد على قائمة السلع التي طلبتها اليوم، بينما شتّت انتباهي على نحوٍ فعّال عن فرصة التفكير في سلعٍ قد أحتاج إليها غدًا أو الأسبوع المقبل.

وعلى الرغم من أن تدخل التكنولوجيا في حياتي ليس أمرًا جديدًا، فإن هاتفي يوفر تدفقًا منتظمًا لما هو قادم، انطلاقًا من تقويماتي الرقمية (Digital calendars)، ومساعدتي الإلكتروني ذي الذكاء الاصطناعي (AI assistants)؛ ما يقلل من حاجتي المعرفية للتفكير في المستقبل. خطر في بالي

1 ريبيل ميلر (Riel Miller) هو رئيس قسم الاستشراف ورئيس قسم "محو أمية المستقبل" (Futures Literacy) بمنظمة اليونسكو بباريس. (المترجم)

2 Riel Miller LinkedIn comments on Quishare Fest, at: <https://bit.ly/3twFew6>

الدراسات المستقبلية قاموساً لوصف التأثير الحالي للبنيات الناتجة من الإجراءات البينية بين العالم التكنولوجي والممارسين الفرديين.

يصبح "هابيتوس المستقبل" (Habitus of the Future) حينئذٍ سرديّةً نقديةً من خلال تحليل التوقعات الاجتماعية، وأمط التحدّث، والتصرّف، وأمط السلوك المهني للمجموعة. وبهذا المعنى، يجعل الهابيتوس اللبنة الأساسية للثقافة المهنية مرئية، ويفتح الطريق لفهم كيف يمكن لممارسات العمل أن تكرّر الوضع القائم (Status quo).

إنّ التكنولوجيا ليست محايدة، وتكافئ الأفعال والنيّات من خلال الاعتماديات التي جرى إنشاؤها من خلال التصميم والشكل والوظيفة. ولكن، من نواحٍ عديدة، العلاقة أعمق بكثير، لتصبح الحافز الذي غدّى التطور البشري، وهو القوة الدافعة التي تشكل المستقبل الممكن للكوكب.

إن العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا ليست ثابتة؛ فاحتياجاتنا في الحاضر والسلوكيات الاجتماعية تقود عملية خلق التكنولوجيا، وفي المقابل، تخلق التكنولوجيا على غرار الهابيتوس الاعتماديات التي تنظم سلوكيات البشر وممارساتهم، وتطبيق البقالة البسيط الذي ذكرته آنفاً أصبح مثلاً ممتازاً على هذه التبعية. وإذا قمنا بتحويل أدواتنا للدراسات المستقبلية إلى أنفسنا، فإنها تفرض علينا أسئلةً مربكة بشأن العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا، وبشأن المسار إلى المستقبل الذي تخلقه.

إن تحويل عدسة التحليل إلى هابيتوس المستقبل هو سؤال المرء عن نفسه وتحدّي الميول المتأصلة لدى المرء وفهمه الذاتي لما يشكل ممارسات دراسات مستقبلية جيدة. ويفرض فعل التشكيك

(GPS)، والمدفوعات الرقمية، وسرعات النطاق العريض، وشبكات "الواي فاي"، والوسائط الاجتماعية (على سبيل المثال لا الحصر)، على التوسط وتشكيل وضع عالمنا الحالي ونوعية حياتنا، وربما تحدّ من تصوراتنا للمستقبل. إنّ الصورة الأوسع توفر مكاناً يسلط الضوء على تأثير التدخلات التكنولوجية في قدرتنا على تأدية وظائفنا في الحاضر، وعلى تصور المستقبل.

وقد أكد عالم النفس الاجتماعي المؤثر كورت لوين أنه "إذا كنت تريد أن تفهم شيئاً ما حقاً، فحاول تغييره"⁽³⁾. ومن منظور ثقافي للتكنولوجيا، قد يقرأ تصريح لوين هذا، على أنه "لتغيير المستقبل، عليك أولاً أن تفهم علاقتنا بالتكنولوجيا في الزمن الحاضر".

إنّ المفتاح لفهم العلاقة بين المستقبل والإنسان والتكنولوجيا هو امتلاك الأدوات اللازمة لوصف كيفية عمل الترتيبات والاعتماديات لمواءمة الممارسات الفردية والمهنية.

مفهوم "هابيتوس"⁽⁴⁾ هو أحد الأدوات التي استخدمها لدراسة هذه الظاهرة الاجتماعية. ويشتمل الهابيتوس على عادات ومهارات وتصرفات متأصلة اجتماعياً تشكل السلوكيات الفردية والجماعية وتوحدها. ويوفر تضيق نطاق التركيز على الهابيتوس لدراسة مجال

3 كورت لوين (1890) (Kurt Lewin-1947) عالم نفس ألماني أمريكي، يُعرف بأنه أحد الرواد المعاصرين في علم النفس الاجتماعي والتنظيمي والتطبيقي في الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

4 "هابيتوس" (Habitus) من أشد المفاهيم تعقيداً في العلوم الاجتماعية، ويتمثل في العادات والمهارات والتصرفات المتأصلة اجتماعياً، والتي يدرك بها وعبرها الأفراد العالم الاجتماعي من حولهم ويتفاعلون معه. ويعرّفه بيير بورديو (Pierre Bourdieu) بوصفه أنظمة التصرف الدائم والقابل للنقل، كهيكل مهيكله مهياًة للعمل. (المترجم)

على المستوى الشخصي، في المرة القادمة التي سأستخدم فيها تطبيق البقالة، أحتاج إلى التفكير باستمرار في هذه العلاقة لفهم كيفية تشكيل طبقات التأثير العديدة لسلوكياتي المستقبلية. وتفتح عملية التفكير مسارات لأنماط جديدة لفهم من يخدمه المستقبل، وتشجع طرقاً بديلة لاستكشاف مستقبل تتشابك فيه التكنولوجيا والإنسانية والكوكب الأرضي في شراكة من أجل البقاء.

في ممارساتنا الإدراك بأن الهابيتوس يوفر الاطمئنان والثقة في قدرات الفرد التي تخفي تشابه السلوكيات والمعتقدات. على مستوى الممارس، يفتح استخدام نظرية هابيتوس المستقبلات لوصف ممارساتنا مسارات لفهم لتغيير شيء دائم بقدر ما هو المستقبل المقبول. وفي كثير من الحالات، قد يجبرنا ذلك على تجاهل المبادئ الأساسية التي تدعم هذه الرؤية للمستقبل.